صيحة حرب

تحدثت نانسي برينكر، سفيرة النوايا الحسنة لمكافحة السرطان لدى منظمة الصحة العالمية، مع لويز بوترتون من الوكالة بشأن دور الوكالة في التصدي لأزمة السرطان في البلدان النامية.

بدأ كل شيء بوعد قطعته نانسي لأختها وهي على فراش الموت وتحول إلى مؤسسة تقود حركة مكافحة سرطان الثدي على الصعيد العالمي. إذ أنشأت نانسي برينكر، الأخت الأصغر لسوزان التي وافتها المنية بعد صراع مع سرطان الثدي وهي في السادسة والثلاثين من العمر، مبادرة خيرية أسمتها «سوزان ج. كومن من أجل العلاج» وذلك في عام ١٩٨٢.

وبدافع من اهتمام سوزان بمساعدة سائر النساء المصابات بهذا المرض، وعدت نانسي أختها بأن تبذل قصارى وسعها لمكافحة سرطان الثدي الذي يزداد انتشاره في العالم أجمع.

ما هي حسب رأيك الأولويات الرئيسية حالياً للتصدي لهذه الأزمة في البلدان النامية؟

تتمثل الأولوية الرئيسية في زيادة الوعي. فثمة بلدان نامية لا تأتي على ذكر كلمة «السرطان»، ناهيك عن أن الأهداف الإنمائية للألفية التي وضعتها الأمم المتحدة لا تشير أبداً إلى مرض السرطان رغم أنه يحصد حالياً حياة أعداد من البشر تفوق أعداد الوفيات بالإيدز والسل والملاريا مجتمعة، كما أن حالات الإصابة بالسرطان في تزايد. إن السرطان يشبه موجة تسونامي بشرية ضخمة ضربت العالم فعلاً ولا تزال. وبحلول عام ٢٠٣٠، سيكون هذا المرض قد خرج عن السيطرة تماماً، رغم إمكانية اتقاء ٤٠٪ من الوفيات التي يسببها.

هل نحتاج إلى حركة عالمية أوسع نطاقاً في مجال مكافحة السرطان؟ فثمة حركات عالمية لمكافحة فيروس نقص المناعة البشري / الإيدز والملاريا، إلا أننا لا نشهد حركة كهذه لمكافحة السرطان.

بالتأكيد. نحتاج إلى صندوق عالمي لمكافحة السرطان، ونضطلع في إطار مبادرة «سوزان ج. كومن» بدور رائد للقيام بما نعتقد أنه ضروري في هذا الصدد. بيد أن على الحكومات بالتأكيد أن تقطع التزامات هائلة في هذا المضمار، وعلى الحكومات والجمعيات وسائر المنظمات كالوكالة وجميع الأطراف الإسهام في هذه الجهود كي لا يقتصر الأمر على إنشاء صندوق واحد وإنما توفير مزيج من موارد التمويل من المنظمات غير الحكومية والحكومات والقطاع الخاص بالإضافة إلى تركيز الجهود لحشد الإرادة السياسية.

ما هو، حسب رأيك، الدور الرئيسي الذي يتعين على الوكالة الاضطلاع به حالياً للتصدي لأزمة السرطان هذه؟

يتمثل دور الوكالة الرئيسي في المساعدة على مكافحة وباء السرطان المتنامي ولا سيما في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حيث الاحتياجات الأكبر. إذ قد يحصد السرطان حياة ما قد يصل إلى ١٠٠ مليون نسمة في العالم خلال السنوات العشرة القادمة.

وتؤدي الوكالة دوراً بارزاً عبر تسخير التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية، ويتعين إطلاع المزيد من الأشخاص على أن الوكالة توفر منذ ما يربو على ٣٠ سنة خدمات الطب الإشعاعي والتكنولوجيا الإشعاعية للبلدان النامية.

وفي الحقيقة، تكرس الوكالة سنوياً ما يربو على ١٥ مليون دولار كما تتيح خبراتها لمساعدة البلدان النامية على النهوض بقدراتها في مجال مكافحة السرطان. وتعتبر هذه الجهود أساسية وأنا أدعم رسالة الوكالة دعماً تاماً، فثمة بحوث هائلة وخدمات رعاية سريرية فعلية تتوقف على الخبرات التي طورتها الوكالة. وينبغي أن نكون قادرين على

أنشأت نانسي برينكر مؤسسة «سوزان ج. كومن من أجل العلاج»–وهي مؤسسة لمكافحة سرطان الثدي مقرها في الولايات المتحدة–في عام ١٩٨٢ تكريماً لأختها، سوزان، التي حصد هذا المرض حياتها في عام ١٩٨٠. وتعمل السيدة برينكر منذ ذلك الوقت من دون كلل لتحسين فرص بقاء سائر النساء المصابات بسرطان الثدي على قيد الحياة. وتطورت هذه المؤسسة الخيرية لتصبح أكبر شبكة شعبية في العالم تضم ناجيات من سرطان الثدي ونشطاء في مجال مكافحة المرض. وبفضل أنشطة هذه المؤسسة كسباق «كومن من أجل العلاج» وهو النشاط الرئيسي للمؤسسة ويتمثل في سباق جري لمسافة ٥ كم ينظم في أكثر من ٢٠٠ مدينة بهدف زيادة الوعي بالمرض وجمع الأموال لمكافحته، تسنى للمؤسسة استثمار قرابة ١,٥ مليار لمكافحة سرطان الثدي.

للإطلاع على المزيد من المعلومات، يمكن زيارة الموقع الشبكي: WWW.KOMEN.ORG

قد يحصد السرطان حياة ما قد يصل إلى ١٠٠ مليون نسمة في العالم خلال السنوات العشر القادمة. وتؤدي الوكالة دوراً بارزاً عبر تسخير التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية، ويتعين إطلاع المزيد من الأشخاص على أن الوكالة توفر منذ ما يربو على ٣٠ سنة خدمات الطب الإشعاعي والتكنولوجيا الإشعاعية للبلدان النامية.

—نانسي بريتكر، سفيرة النوايا الحسنة لدى منظمة الصحة العالمية

دعم هذه الخبرات والترويج لها وتمويلها وجعلها جزءاً من برنامج لمكافحة السرطان.

إن تشخيص الإصابة بسرطان الثدي لا يعني بالضرورة الحكم بالإعدام على المريضة في البلدان التي تتوافر فيها المرافق الضرورية، بيد أن الأمر يختلف في الكثير من مناطق العالم النامي. كيف يمكن معالجة هذا الوضع؟

يمكن ذلك من خلال تغيير ثقافة الوعي بحيث يصبح من الممكن فحص الأشخاص في العيادات واعتماد إجراءات للكشف المبكر عن المرض وللوقاية منه.

ومن الضروري جداً تطبيق برامج للكشف عن المرض ولتشخيصه مبكراً. فالكثير جداً من حالات الإصابة بالسرطان المشخصة في أفريقيا وفي شتى مناطق العالم التي تفتقر إلى الموارد الكافية لا يكتشف إلا في مرحلة متأخرة جداً، لذا فإن الأمل في أن يظل المريض على قيد الحياة يكون معدوماً.

إن عملنا ليس بالغ التعقيد، فهو يتعلق بتفهم الوضع وبتطبيق معارفنا. وقد لا يكون هذا العمل جذاباً أو ساحراً وقد لا يصب في خانة العلوم التي تلهب الناس، إلا أنه يصل إلى قلوبهم وإلى عقولهم. وبات علينا الآن أن نصل إلى جيوب الحكومات الكبرى والوكالات الحكومية والأفراد وأن نحثهم على قطع الالتزامات والتحلي بالإرادة السياسية الضرورية لإتاحة جميع ضروب العلاج والكشف والتشخيص المتوافرة لدينا في البلدان المتطورة بشكل أو بآخر في البلدان المتدنية الدخل.

لقد عينتك منظمة الصحة العالمية مؤخراً سفيرة للنوايا الحسنة لمكافحة السرطان. هل يمكنك إطلاعنا على ماهية هذا المنصب؟

لم يسبق أن أنشئ منصب كهذا ولم يشغله أحد قبلي، لكنني أعتقد أن استحداث هذا المنصب هو بمثابة إقرار من منظمة الصحة العالمية بأهمية مشكلة السرطان وبحجمها. لقد كنت محظوظة جداً في حياتي لأنني اشتغلت بجد وقدت أكبر منظمة تعنى بمكافحة سرطان الثدي في العالم.

ولم أكن أسعى في الحقيقة إلى تغيير نوع العمل الذي أقوم به، بيد أن ما أقوم به الآن هو «عمل مختلف» هام للغاية لأنه يتمثل في إرسال رسالة ليس إلى الحكومات المختلفة فحسب وإنما إلى الأمم المتحدة وإلى كبرى المنظمات الحكومية وغير الحكومية في العالم أيضاً. إن هذا العمل هو عبارة عن صيحة من أجل التحرك، وأضعف الإيمان هو أن أسعى لزيادة الوعي ولتحدي الناس حتى يقطعوا في النهاية تعهداً بالتصدي للسرطان في بلدانهم وفي مجتمعاتهم وقراهم.

إن لقيادتك حملة في هذا المجال بعداً شخصياً، إذ توفيت أختك بعد صراع مع سرطان الثدي. هل لك أن تخبرينا كيف ألهمتك أختك ودفعتك لما تقومين به حالياً؟

إن أختي لم تلهمني فحسب، بل جعلتني أعدها بالقيام بما أقوم به حالياً. فعندما يطلب منك شخص من على سرير موته أن تفعلي شيئاً يعطي لحياته معنى، فإنك ستقومين بهذا الشيء حتماً. وبالطبع وعدتها أن أقوم بذلك، ولم أكن أدري أنني سأكرس بقية حياتي للوفاء بهذا الوعد – إلا أنه تطلب أن أكرس له كل حياتي وسأظل أكرس له حياتي في المستقبل بالتأكيد. لقد كانت رحلتي مذهلة حقاً، رغم أنها مليئة بالتحديات وبالتلال وبالوديان التي علي قطعها يومياً. ولكني متشجعة اليوم أكثر مما كنت عليه قبل ثلاثين سنة.

كيف سيكون شعور أختك اليوم برأيك لو كانت لا تزال على قيد الحياة؟ هل ستشعر بالفخر إزاء ما نجحت في تحقيقه؟

أعتقد أنها ستعجب إلى حد كبير بأنشطتنا وبالنتائج التي حققناها وبما أنجزناه عبر مبادرة «سوزان ج. كومن»، فمنظمتنا تشبه أختي، إنها تمد يدها للآخرين ومحبة ومهتمة كما أنها ذات طابع شخصي جداً. أعتقد أن أختي، مثلها مثلي، كانت سترغب في كفالة انتفاع جميع الناس في العالم بالرعاية الصحية وبفرصة عدم السقوط ضحية هذا المرض.

غير أن الواقع المحزن هو أن الطريق لا تزال طويلة جداً، إذ لا زلنا نجهل مسببات سرطان الثدي كما لا نعرف كيفية الوقاية منه. ولا تزال النساء يتوفين على نحو يمكن اتقاؤه في أماكن قريبة منا جداً.

أما على الصعيد العالمي، فقد ازداد الوضع سوءاً، إذ قد يحصد سرطان الثدي حياة ١٠ ملايين إمرأة في العالم خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة.

لويز بوترتون، قسم الإعلام العام في الوكالة.. البريد الإلكتروني: L.Potterton@iaea.org